الحروب الهجينة وتأثيرها على الاقتصاد العراقي

ستار الخفاجي

26 شباط 2026

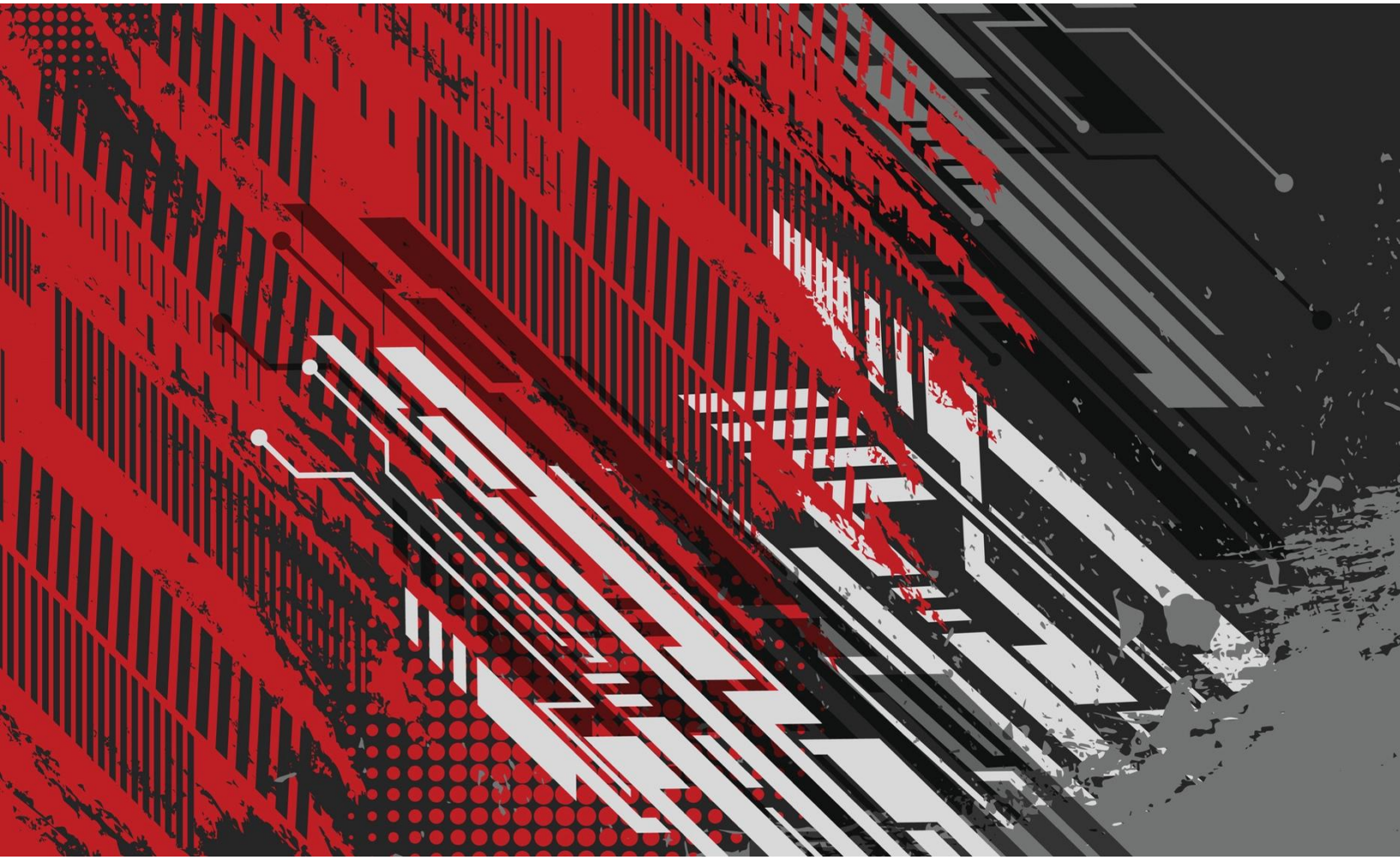

حقوق النشر محفوظة © 2025 | iraqieconomists.net | info@iraqieconoists.net | الهاتف: ٠٠٩٦٤٧٨٦٦٢٩٦٦٠٠+ | منذ عام ٢٠٠٩

الحروب الهجينة وتأثيرها على الاقتصاد العراقي.

تعريف الحرب الهجينة

ظهر مصطلح (الحرب الهجينة) بصيغته الأكاديمية الواضحة في منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، وارتبط خصوصاً بالباحث العسكري الأميركي فرانك هوفمان (Frank Hoffman) حوالي عام 2007. وجاء في تعريف الحرب الهجينة بأنها الاستخدام المتزامن الناشئ لأنواع متعددة من الحروب (تقليدية، غير نظامية ، إرهابية ، الكترونية) من قبل خصوم يدركون أن الصراع الناجح يتطلب اشكالاً متنوعة مصممة لتناسب أهداف كل مرحلة.

ساهمت مشاة البحرية الأمريكية ومؤسسة (RAND corporation) في بحوثها وتعريفها بأنواع الحروب وتوضيح استخدام الخصوم لمزيج متزامن من الحروب النظامية وغير النظامية والوسائل السرية والعلنية ومهدت الطريق لهوفمان ليجمعها ويصيغها تحت مسمى الحرب الهجينة.

رغم ان مفهوم الحرب الهجينة ابصر النور في عام 2007 إلا أنه لم يلق رواجاً وشيوعاً إلا عندما استخدمه حلف شمال الأطلسي (الناتو) في عام 2014 بعد ضم روسيا لشبه جزيرة القرم وانخراطها في الحرب الأهلية شرق أوكرانيا.

(ويُعرّف حلف شمال الأطلسي (الناتو) الحرب الهجينة بأنها المزج بين الوسائل التقليدية وغير التقليدية، والعسكرية وغير العسكرية، والسرّية والعلنية، بهدف زعزعة استقرار الخصوم، مع تعمّد طمس الحدود بين الحرب والسلم. وتُستخدم هذه الأنشطة من قبل دول أو فاعلين من غير الدول، وتهدف إلى تقويض الثقة، وإضعاف المجتمعات، وتجنّب إشعال صراع رسمي).

في الحقيقة إن مصطلح الحرب الهجينة هي فكرة قديمة اكتسبت ابعاداً جديدة في القرن الحادي والعشرين.

كما أشرنا فإن الحرب الهجينة هي مزيج من الوسائل العسكرية وغير العسكرية لتحقيق أهداف استراتيجية ضد طرفٍ ما، دون الانخراط في حرب تقليدية معلنة.

وقد تضم هذه الوسائل فرض العقوبات الاقتصادية، وتنفيذ الهجمات السيبرانية، والتأثير في الأسواق المالية، وبث المعلومات المضللة، إضافة إلى ممارسة ضغوط عسكرية محدودة ان وجدت. وبهذا الأسلوب، تستطيع الدول أو الجهات الفاعلة إضعاف اقتصاد الخصم وزعزعة استقراره من دون الحاجة إلى مواجهة عسكرية.

أساليب الحرب الهجينة ذات الطابع الاقتصادي

- الحصار والعقوبات الاقتصادية:

تستخدم الدول الكبرى العقوبات كأداة لإضعاف اقتصاديات الدول المنافسة، عبر تقييد التجارة أو تجميد الأصول أو منع التعامل المالي. الحصار الاقتصادي ليس مجرد إجراء دبلوماسي بل هو سلاح هجين يهدف إلى تدمير القدرات الاقتصادية للدولة بشكل استراتيجي.

- الهجمات السيبرانية على البنى التحتية الاقتصادية:

مثل تعطيل أنظمة البنوك أو شبكات الطاقة والنقل، مما يسبب خسائر مالية ضخمة ويؤثر على الثقة بالأسواق.

- التلاعب بأسعار الطاقة والمواد الأولية:

حيث يمكن لدول تمتلك موارد استراتيجية أن تستخدمها كسلاح اقتصادي ضد خصومها.

- نشر الأخبار الكاذبة والتضليل الاقتصادي:

تؤدي الإشاعات الموجهة حول الشركات أو العملات إلى اضطرابات في الأسواق المالية والاستثمارات العالمية.

أبرز ملامح الحرب الهجينة على العراق قبل 2003

بعد احتلال صدام للكويت في 2 آب 1990 ومن ثم حرب الكويت (عاصفة الصحراء) مهد صدام الطريق لأميركا والغرب بصورة عامة لإجراءات تدخل ضمن تعريف مصطلح الحرب الهجينة.
العقوبات الاقتصادية الشاملة: فرض مجلس الأمن الدولي حصاراً اقتصادياً صارماً استمر لأكثر من عقد، ما أسهم في تدهور البنية التحتية وتفاقم الأوضاع الإنسانية داخل العراق.

الضغط العسكري المباشر وغير المباشر: شمل ذلك فرض مناطق حظر الطيران في شمال العراق وجنوبه، إضافة إلى تنفيذ ضربات جوية مركّزة، أبرزها عملية ثعلب الصحراء عام 1998.

الحرب النفسية والإعلامية: تم توظيف الحملات الإعلامية والتقارير السياسية لتقويض ثقة الشارع العراقي والمؤسسة العسكرية بالقيادة الحاكمة، في إطار ضغط نفسي متواصل.

دعم قوى المعارضة: جرى تمويل وتدريب جماعات معارضة سياسية ومسلحة بهدف إضعاف الاستقرار الداخلي، مستنداً إلى تشريعات مثل قانون تحرير العراق الصادر عام 1998 من الكونغرس الأمريكي.

استثمار ملف أسلحة الدمار الشامل: أُطلقت حملة دبلوماسية واستخباراتية مكثفة للترويج لوجود أسلحة محظورة، بما أسهم في بناء مبررات التدخل العسكري، وشكّل ركناً أساسياً في استراتيجية الحرب الهجينة.

وكان هدف هذه الاستراتيجية الشاملة إنهاك العراق عسكرياً واقتصادياً تمهيداً للغزو المباشر في 19 آذار / مارس 2003.

الحرب الهجينة في العراق بعد عام 2003

بعد الغزو الذي قادته الولايات المتحدة عام 2003 وسقوط النظام السابق، وحل الجيش العراقي الذي ادى إلى خلق فراغ أمني دخل العراق مرحلة شديدة التعقيد تجلّت فيها أنماط متعددة من الحرب الهجينة؛ حيث لم يعد الصراع يقتصر على المواجهات العسكرية بل امتد ليشمل استهداف البنى التحتية، الحرب السيبرانية والضغط على ملفات الطاقة والمياه مما عرقل ويعرقل التنمية المستدامة.

ومن أبرز تلك الملامح:

التمرد المسلح والحرب غير النظامية:
برزت جماعات مسلحة اعتمدت تكتيكات حرب العصابات، والعبوات الناسفة، والهجمات الانتحارية، ما أدخل البلاد في نزاع غير متماثل و صراع منخفض الكثافة طويل الأمد، وأضعف قدرة الدولة على بسط سيطرتها الأمنية الكاملة.

تصاعد الإرهاب
ظهر تنظيم القاعدة في العراق، ثم تطور لاحقاً إلى تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) الذي سيطر على مساحات واسعة عام 2014، جامعاً بين العمل العسكري شبه التقليدي، والدعاية الرقمية المكثفة، وإدارة المناطق الخاضعة لنفوذه بأساليب تنظيمية وإدارية متخلفة وصارمة.

استخدم تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) مزيجًا فعالًا من التكتيكات لتحقيق أهداف عسكرية وسياسية وإعلامية وسعى لإقامة "دولة الخلافة" مستفيدًا من الأوضاع السياسية والأمنية المضطربة في العراق آنذاك. ومارس الإعدامات وعمليات خطف وقتل واعتمد على دعاية واسعة عبر مقاطع فيديو ووسائل التواصل الاجتماعي

الحرب الطائفية والمجتمعية:
جرى استثمار الانقسامات الطائفية والعرقية في إذكاء العنف الداخلي، ولا سيما خلال أحداث 2006–2007، ما عمّق الاستقطاب المجتمعي وأضعف النسيج الوطني.

برزت فصائل مسلحة وميليشيات طائفية ضمن تشكيلات مختلفة، من بينها الحشد الشعبي، ما أوجد مشهداً أمنياً معقداً تتداخل فيه الأدوار بين المؤسسات الرسمية والقوى شبه الرسمية.

اغتيال عدد كبير من العلماء والكوادر العلمية

تتهم بها دول الجوار والدول الإقليمية، ويمكن اعتبارها جزءًا من الحرب الهجينة إذا كان هدفها إضعاف وتفكيك الدولة.

تُجسّد هذه السمات ما يُعرف اليوم بالحرب الهجينة، وهي مقاربة تجمع بين أدوات عسكرية وغير عسكرية، وظهرت بوضوح في حالات مثل العراق وسوريا، ودول نامية أخرى كمالي ونيجيريا. في هذه السياقات، لجأت جماعات مسلّحة إلى دمج أساليب التمرد التقليدي مع العمل الإرهابي والجريمة المنظمة، بما أنتج أنماطًا مركّبة من العنف يصعب تصنيفها ضمن نموذج واحد.

العراق اصبح ساحة تنافس إقليمية

تحوّل العراق إلى ساحة تنافس نفوذ بين قوى إقليمية ودولية، استُخدمت فيها أدوات سياسية وأمنية واقتصادية لدعم أطراف محلية متباينة، في إطار صراع غير مباشر.

الحرب الإعلامية والرقمية

استُخدمت وسائل الإعلام التقليدية ومنصات التواصل الاجتماعي للتعبئة، وبناء السرديات المتعارضة، والتأثير في الرأي العام داخلياً وخارجياً، ما جعل الفضاء المعلوماتي ساحة موازية للصراع الميداني.

الأدوات الاقتصادية والسياسية

شملت أدوات التأثير الضغوط الاقتصادية، وإدارة ملف النفط وعقوده، والتأثير في تشكيل الحكومات وبناء التحالفات البرلمانية، ضمن سياق تنافسي مستمر يعكس تداخل الأبعاد الأمنية والسياسية والاقتصادية.

بعد الغزو الذي قادته الولايات المتحدة وسقوط نظام صدام حسين، تعرضت شبكات الكهرباء وأنابيب النفط والجسور والموانئ إضافة للمصانع الحكومية إلى تخريب مستمر سواء بفعل العملية العسكرية أو الجماعات المسلحة، مما أدى إلى ارتفاع كلفة الإعمار وتعطيل للإنتاج.

وبما ان العراق يعتمد على النفط بشكل كبير فإن الهجمات على حقول النفط أدت إلى تذبذب الإنتاج وارتفاع تكاليف التأمين والنقل وفقدان ثقة الشركات الاستثمارية.
كما ان استهداف الأطباء والأكاديميين واغتيال العديد منهم ادى إلى هجرة واسعة ونتيجة لذلك تراجع الخدمات الصحية والتعليمية وانخفاض أو حتى انعدام القدرة على بناء اقتصاد إنتاجي.

بالإضافة إلى ذلك فإن الحرب الهجينة خلقت اقتصادًا موازيًا تديره المكاتب الاقتصادية للفصائل المسلحة والتي خلقت شبكات تهريب والسيطرة على بعض الموارد المحلية وهذا بالتالي ادى إلى إضعاف الدولة مالياً وقلل من إيراداتها الضريبية.

ان التأثير المباشر للحروب الهجينة على الاقتصاد العراقي تمثلت في تعطيل الإنتاج وتدمير البنى التحتية وزيادة الإنفاق غير التنموي وتعميق الاعتماد على النفط والأثر الأخطر ليس فقط الخسائر الفورية بل إبطاء مسار التنمية لعقود قادمة.

والخلاصة، يعد العراق من أكثر الدول تأثراً بالحرب الهجينة نظراً لاعتماده الأحادي على النفط وهشاشة مؤسساته. إن مواجهة هذه الحرب تتطلب استراتيجية وطنية شاملة لا تكتفي بالحلول العسكرية، بل تمتد لتشمل الإصلاح الهيكلي للاقتصاد، وحماية السيادة الرقمية، وتأمين موارد المياه والطاقة أولويات أمن قومي.

كيف يتجنب العراق الحرب الهجينة

ان تجنب العراق الحرب الهجينة لا يتحقق بالقوة العسكرية وحدها بل يتطلب استراتيجية وطنية شاملة تقوم على عدة ركائز أساسية:

- تعزيز الوحدة الوطنية ونبذ الانقسامات المجتمعية مما يقلل من فرص استغلال الانقسامات الداخلية.
- تنويع الاقتصاد: تقليل الاعتماد الكلي على النفط لتقليل الحساسية تجاه الصدمات الخارجية والتهديدات الهجينة.

- تعزيز السيادة الأمنية بحصر السلاح بيد الدولة وتوحيد القرار الأمني والعسكري بالإضافة إلى تطوير الاستخبارات لرصد التدخلات الخارجية.
- تفعيل أدوات الرقابة المالية ومكافحة الفساد لغلق الثغرات التي تنفذ منها أدوات الحرب الهجينة.
- تعزيز الأمن السيبراني المالي وحماية المؤسسات المالية من الاختراقات التي تستهدف ضرب آلية بالعملة الوطنية.
- منع استخدام الأراضي العراقية كساحة صراع بالوكالة بين قوى إقليمية وذلك بانتهاج سياسة خارجية متوازنة (الحياد الإيجابي) وتجنب الاصطفاف الحاد ضمن المحاور الإقليمية.

إن بناء دولة قوية ومؤسسات فاعلة، وقانون يُطبّق بعدالة، ومجتمع واعٍ متماسك، هو الحصن الحقيقي أمام الحروب الهجينة. فكلما زادت مناعة الدولة داخليًا، تضاءلت فرص استهدافها خارجيًا.

الحروب الهجينة تعتمد اساساً على تفكيك المجتمع من الداخل عبر إثارة الانقسامات الطائفية والقومية والخطر الأكبر في الحروب الهجينة هو أنها تبدأ بصمت، وتعمل على إضعاف الداخل قبل أي مواجهة مباشرة.■

المصادر

- Hoffman, Frank G. Conflict in the 21st Century: The Rise of Hybrid Wars. Potomac Institute for Policy Studies, 2007.
- NATO. Hybrid Warfare: A New Threat? Brussels, 2015.
- مركز البيان للدراسات والتخطيط، الاقتصاد العراقي في ظل الصراعات غير التقليدية، بغداد، 2021
- اسراء حاتم جواد، الحرب الهجينة من منظور الاستراتيجية (دراسة تحليلية)، قضايا سياسية 2024
- قاسم حسين الدوري، الأمن الاقتصادي وتحديات الدولة الريعية، بغداد، دار الحكمة، 2020

عن الكاتب: الاستاذ ستار الخفاجي. اقتصادي مقيم في المهجر.

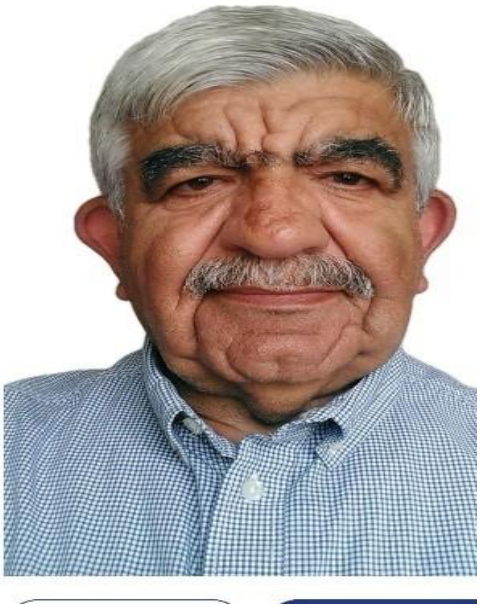

عن الشبكة:

تهدف شبكة الاقتصاديين العراقيين الى التأسيس لمرجعية اقتصادية في العراق تعمل على اعطاء الاولوية للاقتصاد قبل السياسة وتنشر الثقافة الاقتصادية بين افراد الطبقة السياسية خاصة وأفراد المجتمع العراقي عامةً متبنّية خطابا اقتصاديا علميا وساعية الى موقعاً مؤثراً في الرأي العام والمجتمع العراقي يمكنها من إيصال كلمتها الى صاحب القرار السياسي والتأثير على قرارات السياسة الاقتصادية.

ملاحظة:

-لا تعبر الآراء الواردة في الإصدار بالضرورة عن آراء أو اتجاهات تتباها الشبكة، وانما تعبر عن رأي كاتبها.

iraqieconomists.net
info@iraqieconomists.net
WhatsApp +964 786 629 6600